



إغلاق المسجد الأقصى الذي جرى الخميس 30 أكتوبر/تشرين الأول الماضي، في أعقاب إصابة الحاج الحاخام الصهيوني المتطرف يهودا غليك، هو الأول من نوعه منذ قيام دولة الاحتلال.

رغم ذلك فهو لم يكن منفصلاً عن البرنامج التدريجي الضخم الذي تنفذه السلطات الصهيونية منذ عقود، لكنه تعزّز بصورة كبيرة في آخر عشر سنوات، ثم توقف بحذر خلال حركة الربيع العربي، وعاد بقوة غير مسبوقة بعد حصار الربيع وإسقاطه خاصة في مصر، بعد فقدان كامل التوازن النسبي الذي تصاعد في عواصم رسمية بعد الثورات قبل سحقها.

وهذا يعني أن حسابات تحريك المشروع الصهيوني المعلن عنه موسمياً وسنويأً لتقسيم أو هدم المسجد الأقصى في الاحتفالات الدورية للهيكل المزعوم، وتصعيد هجومه على المصلين وعلى الحرم القديسي، كان ضمن توقيت دقيق لتل أبيب لاستثمار هذه الأجواء المتتصاعدة الخانقة للوضع العربي وحرية الشعوب، وخاصة في ظل إشعال حرب التحالف الدولية والهدف المشترك الذي يتجاوز داعش (تنظيم الدولة الإسلامية) إلى تعزيز حصار كلي سيصنع فوضى عشوائية أو مخططة لخريطة المشرق العربي.

وهو واقع يعزّز التوافق الثلاثي بين واشنطن وحلفائها والمشروع الإيراني الطائفي والنظام الرسمي العربي المساند لهذه الحملة المستمرة في جغرافيا الربيع المستنزف والمحاصر، ولذلك التقطتها الحركة الصهيونية المنظمة لسياسات وأحزاب وحركات "إسرائيل" المتعددة في داخل فلسطين المحتلة وخارجها في دول الإسناد الغربي وخاصة الولايات المتحدة لتعامل مع هذا الواقع العربي بدقة في درجة زحفها لهدم أو تأمين المسجد الأقصى.

كما تبني أيضاً على واقع حصار غزة وما بعد العدوان عليها، وما تعيشه القضية الفلسطينية من دائرة ضغط شديد لمحاصرة فكر المقاومة وشعبيتها التي تمدد وتطورت في ظل صعود مشروع الحركة الإسلامية في فلسطين المحتلة عبر حماس، كما أن للمشروع التوافقي دوراً متزامناً في خنق العمل الإسلامي ومطاردة منسوبيهاليوم في الوطن العربي والتضييق عليهم في تزامن دقيق مع قضية استهداف المسجد الأقصى وصعود الدفع الصهيوني لاستهدافه.

وأمام هذا الضغط قد يbedo لكثرين من داخل العالم الإسلامي أن هذا الحصار الشرس والزحف على المسجد الأقصى وتطويق وخلق الحريات واستهداف الإسلاميين يسير في اتجاه واحد وهو الحرب الكبرى في الوطن العربي والشرق الأوسط، وهي قضية مرتبطة لديهم بحديث النبي صلى الله عليه وسلم عن معركة فاصلة بين اليهود والمسلمين شرقى النهر (الأردن) وغربيه (الضفة الغربية)، غير أن هذا النص وغيره لا توجد له دلالة قطعية ولو كان قطعى الثبوت، والأصل استفراغ الوسع المادى لتحقيق النصر ورد الاعتداء بعد التوكل وليس ربط أحداث قد تكون تكررت وممكناً أن يسقط عليها معنى الحديث النبوي الشريف في فترات سابقة أو لاحقة والله أعلم بها.

لكن الغريب أن فكرة الحرب الكبرى ليست فقط لدى المسلمين والذين يرون سياقاتها متواترة ميدانياً وعياناً، ولكنها موجودة في محور التحليل السياسي الغربي وقلقه، فضلاً عن النص الديني لدى جماعات مسيحية ويهودية تؤمن باحتمالية هذه المواجهة، وهنا نحن نطرح هذا المسار في إطار التحليل السياسي المرصود، وأهمه تصريح نتنياهو رئيس حكومة الكيان الصهيوني بعد إغلاق الأقصى ورسائل الغرب القلقة عن الفوضى العامة في الشرق الأوسط ومحاولة تطمئنه لهم واتهام الفلسطينيين بذلك وليس سياسات حكومته.

والمقصود أن نتنياهو اعترف بهذه الفكرة وتعامل معها، وهي أن قضية المسجد الأقصى وخصوصيته الاعتبارية المقدسة لدى المسلمين وفي ظل هذه الأوضاع قد تخلق ما سماها فوضى عامة تسقط معها مصالح الغرب كما تفرق الشرق بأحداث كبرى، وتجنب أن يُصرّح بالمعنى الخاص الذي يخشاه وتقلق منه واشنطن وهو سقوط أو تحييد الأنظمة المحيطة بفلسطين وغيرها والوصول الواقعي إلى مرحلة الحرب الكبرى، وشدد على أنه يفهم هذا السياق ولا يريد أن تصل الأمور إليه، وهو يسترضي واشنطن.

في المحصلة المهمة لهذا الموقف وموقف الغرب وخاصة الإدارة الأمريكية، نجد أن هناك استشعاراً كاملاً لواقع الضغط والانفجار في الوطن العربي كما هو واقع مشروع الزحف تفديرياً لتأميم أو هدم المسجد الأقصى، الذي تسعى الحركة الصهيونية لتنفيذه خلال هذه الفترة الزمنية للعشر سنوات القادمة بدءاً باقتطاع كنيس لليهود من أرضه المقدسة.

والقياس الذي تعاملت معه تل أبيب واشنطن لم يأخذ الصورة الساكنة نسبياً للشارع العربي بعد عدوان الإغلاق، بل تعامل مع هشاشة هذا السكون لاحتمالية الانفجار خلفه رغم حركة التطويق الشرسة الرسمية له، وهو ما يعني أن الغرب وتل أبيب يتصاران حالة الاختناق والقهر العربي رغم التوظيف للمؤسسة الرسمية ضد الحريات الداعمة لاستقلالها وللقدس، ولذلك تعود سلسلة التدرج الصهيوني للمشروع لدروات امتصاص الغضب ثم الحفر السياسي والتفيد ل لتحقيق تأميم المسجد الأقصى وحمل الصهاينة في الهيكل.

غير أن هذه الصورة التي يسعى الغرب وتل أبيب لتركيبيها بهدوء، لا توجد لها ضمانات حقيقة، وخشيتهم من فوضى شاملة تصل للحرب الكبرى باتت موضوعية في سياق التحليل السياسي لكن ليس كما يشتئون بالضرورة في الختام، وحالة الغبن والقهر في الوطن العربي لا تزال تشكل عاماً متحركاً نحو الحدث.

كما أن مشروع الحركة الإسلامية في فلسطين عبر حماس وحركة الشيخ رائد صلاح والمهجر، وما أجزته من رابطة أممية ضخمة مع العالم الإسلامي وشعوبه من المتدينين وغيرهم ومن العرب والعجم، ومن محيط التطوع الإنساني، بات مشروعًا قائماً بالفعل، ليس من السهولة أن يُقهر فضلاً عن أن يُصقى.

إن المهمة المركزية التي قررتها حركة حماس عند تأسيسها عام 1987 بعد قرار استقلالها عن التنظيمات الإسلامية في

الأردن ومصر وصناعة مشروع مستقل ومرتبط بكيان فلسطين وشعبه وأرضه ومتحد مع الأمة جغرافيا وديمغرافيا في رابطة الوجдан والانتماء حول الأقصى، قد تحقق بالفعل وبشراكة مع جسمها الضمني في 48 وأبناء المهجـر، وأضحت قوة متراـبطة، لم تخسر من عدوان غزة الأخير، ولن يكون من السهل على سلطة رام الله اقتلاـعها لو أقدمت على نقض المصالحة المتوقـع.

إن المشروع المركـزي لصناعة بنية تحتية لفـكر وثقافة وشعب المقاومة، قد تحقق بالفعل بين فلسطين ومناطقها وبين العالم الإسلامي، وعليـه فإن مـهمـة التحرير الـيـوم للـمسـجـد الأـقصـى، تم تـأـسيـسـ بنـاءـ إـسـتـراتـيـجيـ لهاـ عـجـزـ إـسـرـائـيـلـيـوـنـ وـحـلـفـاؤـهـمـ عنـ تـحـطـيمـهـ، كـوـاـقـعـ يـرـصـدـ، وـهـذـاـ لـاـ يـعـنـيـ عـدـمـ التـعـرـضـ لـحـالـاتـ مـنـ الـحـصـارـ وـالـقـهـرـ وـالـتـطـوـيقـ لـهـ فـيـ دـاـخـلـ فـلـسـطـيـنـ أـوـ مـنـ يـمـدـ العـوـنـ لـهـ مـنـ عـمـقـهـ الـعـرـبـيـ إـلـاسـلـامـيـ، بـلـ هـذـاـ وـاقـعـ نـعـاـيـشـهـ، لـكـنـهـ مـحـاـوـلـاتـ لـمـ تـصـلـ لـلـجـذـورـ وـالـقـوـاعـدـ الـتـيـ تـحـقـقـتـ، وـهـوـ مـاـ بـاتـ مـهـمـةـ وـاـضـحـةـ لـكـلـ مـنـ يـرـيدـ دـعـمـ الشـعـبـ الـفـلـسـطـيـنـيـ وـتـحـرـيرـ الـأـقـصـىـ فـعـرـفـ عـنـوـانـ الدـعـمـ الـذـيـ يـوـقـفـ مـشـرـوـعـ الـهـدـمـ وـيـحـوـلـهـ لـمـشـرـوـعـ تـحـرـيرـ، مـتـىـ وـكـيـفـ قـدـ لـاـ يـتـضـحـ، لـكـنـ الـمـسـارـ إـلـيـهـ جـلـيـ لـمـنـ يـبـصـرـ.

وـهـذـاـ مـاـ يـخـشـاهـ نـتـيـاهـوـ فـيـ تـطـمـيـنـاتـهـ لـلـبـيـتـ الـأـبـيـضـ، وـمـاـ يـحـسـ بـهـ فـيـ دـاـخـلـ أـعـمـاـقـهـ وـيـنـكـرـهـ لـسـانـهـ، تـمـاـمـاـ كـمـاـ يـسـتـشـعـرـهـ الـمـسـتـوـطـنـوـنـ الـذـيـنـ يـدـفـعـونـ بـكـلـ قـوـتـهـمـ لـإـخـرـاجـ كـلـ فـرـدـ مـنـ الـمـقـدـسـيـنـ أـهـلـ الـأـرـضـ لـمـئـاتـ السـنـيـنـ لـصـالـحـ غـزـاـ مـتـوـحـشـيـنـ، يـسـكـنـهـمـ فـزـعـ الـغـرـبـيـ، الـذـيـ يـشـعـرـ أـنـ الـأـرـضـ لـمـ تـسـتـقـرـ تـحـتـ أـقـدـامـهـ رـغـمـ رـتـلـ الـدـبـابـاتـ فـوـقـهـاـ، فـالـجـذـورـ تـعـودـ إـلـيـهـ لـتـقـتـلـهـ مـنـ جـدـيدـ، فـيـسـعـيـ بـكـلـ قـوـتـهـ لـهـدـمـ الـأـقـصـىـ كـوـنـهـ الرـمـزـ لـحـسـمـ اـحـتـالـهـ الـذـيـ قـدـ يـفـتـحـ الـبـابـ لـاـقـتـلـعـهـ وـزـوـالـ مـشـرـوـعـهـ.

الجزيرة نت

المصادر: